

تعدد الأصوات في رواية» مخيم المواركة «لجابر خليفة جابر - دراسة سردية في البوليفونية والحوارية
وتعدد الرواة وصناعة المعنى التاريخي
م.م صبا خضير ناعم البهادلي
طالبة دكتوراه - اللغة العربية وآدابها

الملخص

يتناول هذا البحث رواية» مخيم المواركة «لجابر خليفة جابر من زاوية تعدد الأصوات بوصفه بنية فنية ودلالية تتجاوز مجرد كثرة الرواة والشخصيات. وينظر البحث في شبكة الأصوات المتجاورة والمتعارضة، والرواية الإطارية، والقصاصات السردية، والتأليف الجماعي، وتوزيع المعرفة، ودور المخيم والدكتور أحمد رودميرو في تنظيم العملية السردية. وينطلق البحث من التصور الباختييني للبوليفونية والحوارية، مع الاستفادة من السرديات الحديثة في دراسة الصوت والتبئير والرؤية، من أجل بيان الكيفية التي يتحول بها التعدد الصوتي إلى استراتيجية لإعادة بناء الذاكرة التاريخية وتمثيل المهمشين. ويخلص البحث إلى أن تعدد الأصوات في الرواية ليس تقنية شكلية قائمة على توزيع الكلام بين عدد من الرواة، وإنما هو مبدأ بنائي ومعرفي يعيد تنظيم العلاقة بين المؤلف والرواة والشخصيات والمتلقي، ويجعل الحقيقة الروائية نتيجة للتفاعل بين الشهادات والاعتراضات والتصحيحات. كما يكشف التحليل أن المخيم يتحول إلى فضاء للتأليف الجماعي، وأن القصصات تؤدي وظيفة معرفية تتصل بالبحث في الذاكرة، في حين يعمل التبئير المتعدد على توزيع المعرفة وإشراك القارئ في عملية بناء الدلالة. ومن ثم تصبح استعادة الماضي الموريسكي عملية حوارية مفتوحة لا تستند إلى صوت نهائي مغلق.

الكلمات المفتاحية: تعدد الأصوات، البوليفونية، الحوارية، السرد، التبئير، المواركة، الرواية التاريخية، الذاكرة، جابر خليفة جابر.

**Multiple voices in Jaber Khalifa Jaber's novel "The Camp of the Maronites" -
A narrative study in polyphony, dialogue, multiple narrators, and the
construction of historical meaning**

Abstract

This study examines Jaber Khalifa Jaber's novel Al-Moriscos Camp from the perspective of polyphony as an artistic and semantic structure that exceeds the mere multiplicity of narrators and characters. It investigates the interaction of voices, the frame narrative, narrative fragments, collective authorship, the distribution of knowledge, and the role of the camp and Dr. Ahmad Rodmiero in organizing narration. The study draws on Bakhtin's concepts of polyphony and dialogism, together with modern narratological approaches to voice, focalization, and perspective. The study argues that polyphony functions as a structural and epistemological strategy for reconstructing historical memory and representing marginalized voices. The fictional truth is not presented as the possession of one authoritative narrator; rather, it emerges through testimony, objection, correction, and negotiation. The camp becomes a space of collective authorship, while narrative fragments operate as units of inquiry into memory and history. Multiple focalization distributes knowledge among participants and turns the reader into an active participant in assembling meaning.

Keywords: Polyphony, Dialogism, Narrative, Focalization, Moriscos, Historical Novel, Memory, Jaber Khalifa Jaber.

المقدمة

تحتل الرواية التاريخية موقعاً متميزاً في السرد العربي الحديث؛ لأنها لا تستعيد الماضي بوصفه مادة جاهزة، وإنما تعيد تنظيمه داخل بنية تخيلية تسمح بإعادة مساءلة العلاقة بين التاريخ والذاكرة والتمثيل. ومن هذا المنظور تبرز «مخيم المواركة» بوصفها رواية تجعل طريقة الحكى جزءاً من موضوعها، فلا تقدم مأساة المواركة من خلال وعي سردي واحد، بل تضع القارئ أمام شبكة من الأصوات والحكايات والقصصات والتعليقات والتصحيحات.

وتتبع أهمية دراسة تعدد الأصوات في هذه الرواية من أن التعدد لا يؤدي وظيفة شكلية فقط، بل يتصل بسؤال السلطة والمعرفة: من يملك حق رواية الماضي؟ ومن يحدد صحة الحكاية؟ وكيف ينتقل التاريخ من وثيقة أو رواية رسمية إلى خبرة إنسانية تتعدد فيها الذاكرات؟ إن هذه الأسئلة تجعل من البناء الصوتي مدخلاً للكشف عن الطريقة التي تصنع بها الرواية معنى الماضي، لا عن الطريقة التي ترويه بها فحسب. وتتأسس الدراسة على قراءة وصفية تحليلية تركز على البنية السردية للرواية، ولا سيما الرواية الإطارية، وتعدد الرواة، والقصصات، والمخيم بوصفه فضاءاً للتأليف الجماعي، والتبئير وتوزيع المعرفة. ويقوم التحليل على التمييز بين تعدد المتكلمين وتعدد الوعيات؛ لأن كثرة الأصوات لا تتحول إلى بوليفونية إلا عندما تحمل مواقف ومنظورات لا تذوب في صوت مؤلفي واحد.

وتسعى الدراسة إلى الكشف عن الكيفية التي يتشكل بها المعنى في الرواية عبر التفاعل بين الأصوات، وكيف يؤدي اختلاف المعرفة إلى اختلاف المواقف، وكيف يصبح الاعتراض والتصحيح جزءاً من إنتاج الحكاية. كما تبحث في أثر هذا البناء على تمثيل الذاكرة الموريسكية وعلى إعادة توزيع مركز السرد من السلطة إلى الشخصيات والجماعات التي تحمل تجارب الهامش.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس: كيف أسهم تعدد الأصوات في بناء رواية «مخيم المواركة»، وما الوظائف الجمالية والمعرفية والتاريخية التي أداها هذا التعدد في تمثيل الماضي الموريسكي؟ ويتفرع عن ذلك عدد من الأسئلة: بما الفرق بين تعدد الرواة وتعدد الأصوات في الرواية؟ وكيف تعمل الرواية الإطارية على إعادة توزيع سلطة الحكى؟ وما الوظيفة التي تؤديها القصصات السردية؟ وكيف يتوزع حق المعرفة بين الرواة والشخصيات؟ وهل تقدم الرواية حقيقة واحدة أم تتيح حقائق متجاوزة ومتفاوضاً عليها؟

أهمية البحث

تتحدد أهمية البحث في الكشف عن البعد البنائي لتعدد الأصوات في رواية عراقية تستثمر التاريخ الموريسكي، وفي بيان علاقته بإعادة توزيع المعرفة والذاكرة وحق الكلام. كما تتصل أهمية الدراسة بمحاولة وصل التحليل السردى بالسؤال التاريخي، بحيث لا ينظر إلى التعدد باعتباره زخرفة أسلوبية، وإنما بوصفه آلية تكشف تعدد الخبرات الإنسانية واختلاف مواقع النظر إلى الماضي.

أهداف البحث

الكشف عن البنية البوليفونية في الرواية وتحديد مستوياتها الأساسية.
تحديد أهم الأصوات السردية ووظائفها في بناء الحكاية.
تحليل الرواية الإطارية والقصصات والتأليف الجماعي.
بيان أثر التبئير في توزيع المعرفة وتغيير زوايا النظر.
الكشف عن الصلة بين تعدد الأصوات وإعادة بناء الذاكرة التاريخية.
تفسير كيفية تشكل الحقيقة الروائية من التفاعل بين الأصوات

منهج البحث

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، بوصفه الأنسب لفحص البنية السردية وعلاقاتها الداخلية. ويقوم التطبيق على وصف الظواهر الصوتية أولاً، ثم تحليل وظائفها الجمالية والمعرفية والدلالية داخل السياق الروائي. ويتركز التحليل في ثلاثة مباحث مترابطة: الأول يدرس مفهوم التعدد والحوارية والرواية الإطارية، والثاني يتناول المخيم والقصاصات والتبئير وتوزيع المعرفة، والثالث يبحث في علاقة التعدد بصناعة الحقيقة والذاكرة التاريخية.

ويقوم المنهج في هذه الدراسة على ملاحظة الفروق بين مستويات الحكيم، والتمييز بين مصدر القول والجهة التي تنظم ظهوره، ورصد انتقال زاوية النظر والمعرفة، ثم ربط هذه العناصر بالمعنى العام للرواية. وبذلك لا يقتصر التحليل على السؤال: من يتكلم؟ وإنما ينتقل إلى أسئلة أكثر دقة من قبيل: من يرى؟ من يعرف؟ من يصح؟ ومن يملك سلطة تنظيم الأقوال؟

المبحث الأول: تعدد الأصوات والحوارية وبنية الرواية الإطارية

يرتبط مفهوم البوليفونية في الرواية الحديثة بتجاوز أصوات متعددة تمتلك قدراً من الاستقلال النسبي، بحيث لا تختزل جميع المواقف في وعي مؤلفي واحد. ولا يعني هذا الاستقلال غياب المؤلف، بل يعني تحول حضوره من سلطة تفسيرية مباشرة إلى وظيفة تنظيمية تسمح بتفاعل الأصوات وتعارضها. ومن هنا يصبح الصوت الروائي حاملاً لوعي وموقف، لا مجرد قناة لنقل المعلومات). باختين، 1986، ص(10-11). وتبدو أهمية الحوارية في هذا السياق في أن الصوت لا يتشكل منعزلاً عن الأصوات الأخرى؛ فكل قول يحمل في داخله استجابة لقول سابق أو توقعاً لقول لاحق. وعندما تتجاوز الشهادات والتعليقات والاعتراضات داخل النص، يتحول السرد إلى مجال لتبادل المواقف، ويصبح المعنى نتيجة للتفاعل لا نتيجة لإملاء صوت واحد). مورسون وإمرسون، 1990، ص(36-37).

وتكشف الرواية الإطارية عن وعي واضح بمصدر الحكاية، إذ يصل النص إلى جابر عبر عمار إشبيليو، ويحيل عمار إلى سلف، ثم يظهر ادعاء التأليف. وتؤدي هذه اللعبة الإطارية إلى فصل نسبي بين المؤلف الواقعي والصوت الذي ينظم القيم والدلالات داخل النص، فتغدو مسألة التأليف جزءاً من البنية السردية نفسها). بوت، 1983، ص(74-75).

ولا تؤدي الرواية الإطارية وظيفية زخرفية؛ فهي تجعل مصدر الحكاية موضوعاً سردياً، وتضع القارئ أمام مسافة بين الحدث وتمثيله. فالمادة التاريخية لا تصل مباشرة، وإنما تمر عبر وسائط ورواة ومشاركين ومراجعين، الأمر الذي يجعل القارئ واعياً بعملية النقل والاختيار وإعادة الصياغة). جنيت، 1997، ص(39-45).

ويظهر عمار إشبيليو بوصفه صوتاً وسيطاً بين أزمنة ومستويات سردية مختلفة، ولا يمتلك معرفة مطلقة، بل يتلقى وينقل ويعيد ترتيب ما يصل إليه. وتتحول محدودية معرفته إلى قيمة جمالية؛ لأن الحكاية لا تكتمل بوجوده وحده، بل تستدعي أصواتاً أخرى لسد الفجوات وإعادة بناء الوقائع). ريمن-كينان، 2002، ص(71-85).

ومن ثم فإن تعدد الأصوات في الرواية لا يعني مجرد توزيع الكلام بين شخصيات كثيرة، وإنما بناء شبكة من الوعبيات والمواقف المتفاعلة. ويظهر الفرق بين التعدد الكمي والتعدد النوعي هنا بوضوح؛ فالتعدد النوعي هو الذي يجعل كل صوت قادراً على تعديل زاوية النظر إلى الحدث أو إعادة تفسيره). العايب، 2019، ص(191-204).

وتتسع دلالة الرواية الإطارية عندما تصبح الحكاية نفسها قابلة للمراجعة. فالقارئ لا يتلقى سرداً مكتفياً بذاته، بل يكتشف تدريجياً أن كل طبقة من طبقات النقل قد تحمل احتمالاً جديداً للمعنى. وبهذا يتحول الإطار إلى آلية لتفكيك مركزية السرد، وإلى وسيلة لتأكيد أن الذاكرة لا تصلنا إلا عبر رواة ومواقف وعمليات اختيار). جنيت، 1997، ص(39-45).

وتسمح هذه البنية بقراءة المؤلفية بوصفها علاقة معقدة بين صاحب النص ومصادر الحكى ومنظميته. فحين يتداخل صوت المؤلف مع أصوات أخرى، يصبح من الضروري التمييز بين المؤلف الواقعي والمؤلف الضمني والراوي، لأن الخلط بينها يؤدي إلى اختزال التعدد في مفهوم تقني بسيط). بوث، 1983، ص-74. (75)

وفي ضوء ذلك، يمكن القول إن الرواية الإطارية في «مخيم المواركة» تؤسس منذ البداية لقراءة تشكك في امتلاك الحقيقة. فالنص يقدم نفسه بوصفه حصيلة انتقالات، وهذه الانتقالات تمنح الحكاية طبيعة حوارية، وتجعل القارئ شريكاً في تقييم درجة المعرفة التي يقدمها كل مستوى سردي). باختين، 1986، ص-10. (11)

المبحث الثاني: المخيم والقصاصات والتبشير وتوزيع المعرفة

يتحول المخيم في الرواية من مكان للإقامة إلى فضاء للتأليف الجماعي؛ إذ تجتمع فيه مجموعات تقدم حكاياتها، ثم تخضع المادة للنقاش والتصحيح والمراجعة. وبذلك لا يكون المكان خلفية محايدة للأحداث، بل يصبح مؤسسة سردية داخل النص، تنتج الحكايات وتعيد ترتيبها وتمنح الشخصيات فرصة للمشاركة في بناء الذاكرة). جابر، 2012، ص(20-21).

ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

ولا يعني التأليف الجماعي الفوضى؛ فالمشاركون يكتبون ويعترضون ويصححون، وقد تشترك الجماعة في صياغة الجملة الواحدة. وهنا ينتقل مفهوم المؤلفية من الفرد إلى الجماعة، مع بقاء التنظيم الداخلي للعمل السردى. وتكشف هذه العملية عن انتقال السلطة من إنتاج القول الفردي إلى التفاوض حول الصيغة التي يمكن أن تمثل الجماعة). يمينى العيد، 1990، ص(37-65).

ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

وتتكون الرواية من قصاصات سردية صغيرة تتجاوز وتتعارض وتتبادل التأثير حتى تنتج صورة أوسع للمأساة. وتقاوم هذه التقنية السرد الكلي المغلق؛ لأن كل قصاصة تقدم جزءاً محدوداً من العالم ولا تدعي امتلاك التاريخ كله، وبذلك يتحول الجزء إلى وسيلة لإبراز حدود المعرفة). برنس، 1982، ص(79-102).

ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

وتتحول القصاصة، في سياق الرواية، إلى وحدة بحث داخل النص؛ فعندما تعترض مجموعة على نهاية حكاية أو تصحح معلومة، تدخل الحكاية في مسار تفاوضي يربط السرد بالبحث في الذاكرة والتاريخ. ومن هنا لا يعود التصحيح فعلاً ثانوياً، بل يصبح جزءاً من إنتاج المعرفة السردية). ريكور، 1984، ص-52. (87)

ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

ويرتبط تعدد الأصوات بتعدد المنظورات؛ فانتقال الحكاية من متكلم إلى آخر يغير زاوية النظر ومستوى المعرفة. ويصبح التبئير أداة لتحديد من يرى ومن يعرف وما الذي يحجب عن القارئ، فتنتقل المعرفة بين المشاركين بدلاً من استقرارها عند راو واحد). يقطين، 1993، ص(39-42).

ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

كما أن انتقال التبئير يجعل الشخصية حاملة لزاوية نظر، لا مجرد أداة في الحكمة. فاختلاف المعرفة ينتج اختلافاً في الموقف، ومن ثم ينشأ الحوار والصراع والتفاوض حول المعنى. وتكتسب الشخصية بهذا المعنى قيمة معرفية، لأنها تقدم العالم من موقعها الخاص). لحمداني، 1991، ص(45-55).

ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

وتكشف بنية المخيم عن علاقة وثيقة بين المكان والذاكرة؛ فكل خيمة تحمل إمكاناً سردياً، وكل جماعة تضيف طبقة من الخبرة. وبذلك يتحول الفضاء المكاني إلى خريطة للأصوات، وتصبح الحركة بين الخيم حركة بين روايات وذاكرات، لا مجرد انتقال مكاني). جابر، 2012، ص(20-21).

ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

وتمنح القصصات الرواية إيقاعاً تراكمياً؛ فالمعنى لا يظهر دفعة واحدة، وإنما يتكون عبر ضم الأجزاء ومقارنة المتشابه والمختلف بينها. وهذا البناء يجعل القارئ أمام مهمة تركيبية، إذ يعين عليه أن يربط بين المقاطع وأن يلاحظ التناقضات والفجوات التي لا تُغلق دائماً). برنس، 1982، ص(79-102).

ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

ومن جهة أخرى، يسهم التبئير المتعدد في مقاومة المعرفة المطلقة؛ فكلما انتقلت زاوية النظر انكشفت حدود ما يعرفه الصوت السابق. وتؤدي هذه الحدود إلى إعادة توزيع السلطة المعرفية داخل النص، فلا يصبح الراوي الوحيد مركزاً لكل المعلومات، بل تتوزع المعرفة بين عدة جهات). شاتمان، 1978، ص(151-180).

ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

إن تداخل القصصات والتبئير والتأليف الجماعي يجعل المخيم فضاءً سردياً مركباً؛ فهو مكان للحياة ومكان للكتابة في آن واحد. وفي هذه الثنائية يتجسد أحد أهم مظاهر البوليفونية في الرواية: الشخصيات لا تكتفي بأن تكون موضوعاً للحكي، بل تدخل في عملية إنتاج الحكي نفسه). جابر، 2012، ص(20-21).

ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

المبحث الثالث: التعدد الصوتي وصناعة الحقيقة والذاكرة التاريخية

لا يتحقق التعدد الصوتي الحقيقي بمجرد تعدد المتكلمين، بل حين يحمل كل صوت معرفة أو قيمة أو زاوية نظر خاصة. وفي الرواية تظهر هذه الخصوصية من خلال الاعتراضات والتصحيحات واختلاف المشاركين في فهم الأحداث، الأمر الذي يمنع استقرار الحكاية على صيغة واحدة). العايب، 2019، ص(191-204). ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

ويترتب على ذلك أن الحقيقة داخل الرواية لا تقدم بوصفها معطى فردياً نهائياً، بل بوصفها نتيجة تفاوض بين الأصوات وبين ما تستحضره الرواية من مراجع وذاكرات. ومن هنا تتقاطع الحكاية مع سؤال إنتاج الحقيقة لا مجرد نقلها، لأن كل رواية للحدث تتضمن اختياراً وتنظيماً وتأويلاً). مورفي، 2012، ص(67-87). ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

وتكتسب هذه البنية بعداً تاريخياً؛ لأن الرواية تعيد توزيع مركز السرد من السلطة إلى الضحايا والناس العاديين، وتفتح المجال أمام ذاكرات كانت أقل حضوراً في السرد التاريخي. وهكذا يغدو التعدد الصوتي وسيلة لمساءلة التاريخ الرسمي وإنتاج سردية بديلة أو مضادة). ثامر، 2018، ص(15-18). ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

ولا تقدم الرواية صوت الضحية بوصفه صوتاً مطلقاً ونهائياً، بل تتيح تجاور الذكريات وتعدد إمكانات تفسير الماضي. وهذا ينسجم مع النظر إلى التمثيل التاريخي بوصفه بناءً سردياً يتشكل عبر الاختيار والتنظيم، لا نقلاً محايداً لماضٍ مكتمل). وايت، 1973، ص(1-42). ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

وتزداد المفارقة تعقيداً مع حضور الدكتور أحمد روميرو بوصفه منظماً للعمل الداخلي. فالرواية تتيح تعدد الأصوات، لكنها لا تتخلّى عن الهندسة السردية؛ إذ يتحول مركز السلطة من قول الحقيقة مباشرة إلى تنظيم العلاقات بين الأقوال. ومن ثم لا يعني التعدد غياب النظام، بل يعني تغيير صورة النظام). جابر، 2012، ص. 109؛ بوث، 1983، ص(74-75).

ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

وعليه، ينتج تعدد الأصوات حقيقة روائية تتكون من تفاعل الشهادات والاعتراضات والتصحيحات. وهي ليست نسخة مطابقة للتاريخ ولا نقيضاً له، وإنما صياغة تخيلية تعيد ترتيب المواد التاريخية داخل بنية حوارية. ومن هنا تكمن قيمة الرواية التاريخية في قدرتها على تحويل الماضي إلى سؤال مفتوح). هتشون، 1988، ص(105-123).

ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

وتؤكد بنية الرواية أن الذاكرة ليست مستودعاً ساكناً للمعلومات، وإنما عملية مستمرة لإعادة البناء. فحين تتعارض الشهادات، لا يختفي الماضي، بل تظهر طبقاته وتظهر معه حدود كل شهادة. وهذه الحدود تمنح الرواية قدرة على تمثيل هشاشة الذاكرة وتعقيدها). ريكور، 1984، ص(52-87).

ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

كما أن تعدد المنظورات يجعل المتلقي طرفاً في عملية التحقق والتفسير. فالقارئ لا يحصل على صورة جاهزة، بل يضطر إلى مقارنة الأصوات، وملاحظة الفجوات، وتقييم التناقضات، وإعادة بناء التسلسل الدلالي للأحداث. وبذلك تتحول القراءة من استهلاك للحقيقة إلى مشاركة في إنتاجها). شاتمان، 1978، ص. (151-180)

ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

ويؤدي هذا البناء إلى إعادة تعريف العلاقة بين التاريخ والرواية؛ فالرواية لا تدعي الحلول محل التاريخ، وإنما تكشف أن الوصول إلى الماضي يمر دائماً عبر أشكال من السرد والاختيار. ولذلك فإن التعدد الصوتي يتيح للخطاب الروائي أن يضع نفسه في موقع الحوار مع التاريخ، لا في موقع الاستنساخ). هتشون، 1988، ص(105-123).

ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

وبذلك تصبح «مخيم الموارد» «رواية عن استعادة الماضي وعن استحالة استعادته بصوت واحد في الوقت نفسه. فكلما تعددت الشهادات اتسع مجال المعنى، وكلما ظهرت الاعتراضات أصبح الماضي أقل انغلاقاً. وهذا ما يمنح البوليفونية وظيفتها التاريخية، فضلاً عن وظيفتها الفنية). ثامر، 2018، ص(15-18).

ومن ثم يتحول الاختلاف إلى عنصر فاعل في إنتاج الدلالة، ويمنح البنية السردية قدرة أوسع على تمثيل تعقيد التجربة.

ويكشف هذا المعطى أن التعدد في الرواية لا يقوم على كثرة الأصوات فحسب، بل على اختلاف الرؤى التي تحملها هذه الأصوات.

النتائج

- ١- تبين أن تعدد الأصوات في «مخيم الموارد» بنية مركبة تشمل تعدد الرواة والشخصيات والمخيم والقصاصات ووجهات النظر ومصادر المعرفة، ولذلك لا يصح اختزال الظاهرة في كثرة الشخصيات.
- ٢- أسهمت الرواية الإطارية في زعزعة مركزية المؤلف، وجعلت مصدر الحكاية جزءاً من اللعبة السردية، بحيث أصبح انتقال المادة من راوٍ إلى آخر عنصراً من عناصر بناء المعنى.
- ٣- تحول المخيم إلى فضاء للتأليف الجماعي، فأصبح إنتاج الحكاية جزءاً من الحكاية نفسها، وبرزت الجماعة بوصفها طرفاً في صناعة الذاكرة السردية.
- ٤- كشفت القصصات عن هندسة سردية تقوم على التراكم والتجاوز والتصحيح، بما يجعل التعدد جزءاً من بناء النص وليس مجرد وسيلة لتقسيم المادة.
- ٥- أسهم التبني المتعدد في توزيع المعرفة وإشراك القارئ في جمع أجزاء الحكاية وإعادة تقييمها، وأضعف مركزية المعرفة المطلقة.
- ٦- ارتبط التعدد الصوتي بإعادة توزيع الذاكرة التاريخية وإبراز أصوات المهمشين والضحايا، من غير أن يمنح الرواية لأي صوت سلطة نهائية مطلقة.
- ٧- كشف حضور الدكتور أحمد روميرو عن التوازن بين حرية الأصوات والهندسة السردية، فالتعدد لا يلغي وجود مركز تنظيمي داخل الرواية.
- ٨- تتأسس الحقيقة الروائية على التفاعل بين الأصوات والشهادات والاعتراضات والتصحيحات، وهو ما يجعل المتلقي شريكاً في إنتاج الدلالة لا متلقياً لحقيقة أحادية.

الخاتمة

خلص البحث إلى أن «مخيم الموارد» تجعل من تعدد الأصوات مبدأً مركزياً في بناء عالمها الروائي وفي مساءلة التاريخ والذاكرة والمؤلف والحقيقة. فالتعدد يبدأ من الرواية الإطارية، ويتجسد في عمار إشبيليو والمخيم والقصصات وتعدد التبني، ثم يبلغ ذروته في بناء حقيقة روائية لا تستند إلى سلطة صوت واحد. وتكمن القيمة الفنية للرواية في أن الأصوات لا تتجاوز فقط، بل تتجاوز وتتعارض وتصحح بعضها بعضاً، بما يحول فعل استعادة الماضي إلى عملية معرفية مفتوحة. كما يكشف التحليل أن التعدد الصوتي لا يعني تفكك النص، لأن وراء تعدد الأقوال هندسة سردية تضبط الانتقال بينها وتمنحها مساراً دلاليّاً متماسكاً. وعليه، فإن الرواية تقدم نموذجاً واضحاً لإمكان التقاء السرد بالتاريخ والذاكرة في بنية حوارية؛ إذ لا يكون الماضي مجرد مادة للتمثيل، بل يصبح مجالاً للصراع بين الروايات، ومجالاً لإعادة توزيع حق الكلام، ومجالاً لتكوين معنى جديد يتشكل في العلاقة بين النص والمتلقي.

التوصيات

- ١- توسيع دراسة الرواية العراقية التاريخية من منظور البوليفونية والحوارية.
- ٢- دراسة العلاقة بين الذاكرة الموريسكية وتمثيل المهمشين في الرواية العراقية الحديثة.
- ٣- الاستفادة من مفهوم التبني في دراسات الرواية التي تتعدد فيها مصادر المعرفة.
- ٤- إجراء دراسات مقارنة بين «مخيم الموارد» وروايات عربية أخرى تستعيد التاريخ الموريسكي.
- ٥- توجيه الدراسات اللاحقة إلى العلاقة بين التأليف الجماعي وبناء الذاكرة في السرد العربي الحديث.

قائمة المصادر والمراجع

١. باختين، ميخائيل. (1986). شعرية دوستوفسكي. ترجمة جميل نصيف التكريتي، مراجعة حياة شرارة. الطبعة الأولى. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
٢. برنس، جيرالد. (1982). Narratology: The Form and Functioning of Narrative. الطبعة الأولى. The Hague: Mouton.

٣. بوث، واين سي. (1983). The Rhetoric of Fiction. الطبعة الثانية. Chicago: University of Chicago Press.
٤. ثامر، فاضل. (2018). السرد والتاريخي في الرواية العربية. الطبعة الأولى. بيروت: دار الروافد الثقافية ناشرون، بالتعاون مع دار ابن النديم للنشر والتوزيع.
٥. جابر، جابر خليفة. (2012). مخيم الموارد. الطبعة الأولى. عمان: دار فضاءات للنشر والتوزيع.
٦. جنيت، جبرار. (1997). خطاب الحكاية: بحث في المنهج. ترجمة محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي. الطبعة الثانية. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
٧. شاتمان، سيمور. (1978). Story and Discourse: Narrative Structure in Fiction and Film. الطبعة الأولى. Ithaca: Cornell University Press.
٨. شنوفي، ميلود. (2018). تعدد الأصوات وحوارية الفن الروائي: في نظرية الرواية عند ميخائيل باختين. مجلة التواصلية، جامعة يحي فارس بالمدينة، العدد 12، ص. 259-284.
٩. العايب، هشام. (2019). تمظهرات البوليفونية (في رواية) «تفست» «لعبد الله حمادي». مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 12، ع 25، ص. 191-204.
١٠. أنفراص، إدريس. (2013). الموارد وتقنية البناء الروائي. طريق الشعب، ص. 77-79.
١١. لحداني، حميد. (1991). بنية النص السردى: من منظور النقد الأدبي. الطبعة الأولى. الدار البيضاء/بيروت: المركز الثقافي العربي.
١٢. مورسون، غاري سول، وإمرسون، كاريل. (1990). Mikhaïl Bakhtin: Creation of a Prosaics. الطبعة الأولى. Stanford: Stanford University Press.
١٣. ريم-كينان، شلوميث. (2002). Narrative Fiction: Contemporary Poetics. الطبعة الثانية. London: Routledge.
١٤. ريكور، بول. (1984). Narrative and Time. Vol. 1. ترجمة Kathleen McLaughlin and David Pellauer. Chicago: University of Chicago Press.
١٥. يقطين، سعيد. (1993). تحليل الخطاب الروائي: الزمن، السرد، التبئير. الطبعة الأولى. بيروت/الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
١٦. هنتشون، ليندا. (1988). A Poetics of Postmodernism: History, Theory, Fiction. الطبعة الأولى. New York: Routledge.
١٧. وايت، هايدن. (1973). Metahistory: The Historical Imagination in Nineteenth-Century Europe. الطبعة الأولى. Baltimore: Johns Hopkins University Press.